

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الأولى - العدد الثالث - خريف ١٣٩٠ ش / أيلول ٢٠١١ م

## رواية زمن البوح بين الالتزام الديني والاتجاه الواقعي

سيدابراهيم آرمن\*

نيلوفر خدابخشى\*\*

### الملخص

القصّ هو سمة شبه ثابتة لدى الشعوب، والشعب العربي لم يكن بمعزل عن العالم، إذ عرفه منذ القديم، وحفظ بعضاً من بطولاته، ومآثره، وتاريخه من خلاله. فعلى امتداد المسافة الزمنية الواضحة في التاريخ العربي حفظت لنا كتب الأدب، المزيد من القصص، وال نوادر، والحكايات، والسير. أما القصة في خصائصها الفنية فهي حديثة النشأة أخذها العرب عن الآداب الأوروبية وتأثروا في أصولها ومذاهبها الفنية بتلك الآداب.

فجاء هذا المقال ليركّز على هذا اللون الأدبي عند الأديب الكويتي حمد الحمد الذي تزخر القصة عنده بالموضوعات الواقعية، وتنمّ عن التزامه الديني وثقافته الإسلامية بحيث يتابع القارئ من خلال أحداث رواياته كافة التغييرات والتحويلات الاجتماعية، والثقافية في الكويت.

الكلمات الدليلية: حمد الحمد، القصة، الرواية، المضمون، الواقع.

\*.عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية في كرج - أستاذ مساعد.

\*\* خريجة جامعة آزاد الإسلامية في كرج.

التنقيح والمراجعة اللغوية: د.عبد الحميد أحمدى

Shams1516@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٢/٧/١٣٩٠ هـ. ش

تاريخ الوصول: ٢٤/٤/١٣٩٠ هـ. ش

www.SID.ir

## المقدمة

يعتبر الأستاذ حمد عبدالمحسن محمد الناصر حمد مواليد ١٩٥٤م من الروائيين المعاصرين بدولة الكويت. وقرر في بداية الثمانينيات أن يتفرغ لكتابة المقالة والقصص القصيرة، وكان يرسل أعماله القصصية إلى جريدة الرأي العام وهي جريدة يومية تصدر في الكويت.

صدر أول مجموعة للكاتب بعنوان (مناخ الأيام) وذلك عام ١٩٨٨م، وبعد صدور الكتاب شعر صاحبه بغبطة وهو يتعرف على بعض الردود الإيجابية في الصحف المحلية، فكتب الأستاذ أباد السبتي في جريدة السياسة في ٤-١٠-١٩٨٨م، كلمات مشجعة حيث يقول: بالأمس شعرت بالسعادة تغمرني عندما ختمت قراءة كتاب حمد الحمد، مناخ الأيام الذي يؤكد خلاله مولد قلم قصصي كويتي يعرف كيف يعبر عن مشاكل ومشاعر بيئته بصدق دون تزييف.

أما الكاتب حسين العنزي فكتب في جريدة الوطن بتاريخ ١٩-١٠-١٩٨٨م مشيداً وناقداً لمناخ الأيام بقوله: يمكنني أن أقول بأن مجموعة مناخ الأيام تضيف بعدين أساسيين: أحدهما على مستوى الكاتب نفسه الذي استفاد من تجاربه القصصية متمكناً من أدواته متطلعاً لعالم أفضل ننشده جميعاً، وأما البعد الآخر فكان على مستوى القصة وتطورها.

والكاتب عندما أصدر تلك المجموعة لم يكن ينشد الشهرة وأضواء الإعلام، وإنما هي رغبة كامنة من الصغر بالمساهمة عبر الكتابة في تسخير قلمه لمعالجة قضايا المجتمع، وكانت المجموعة الأولى هي صوت ذلك المجتمع الكويتي، وبالذات القصة الأخيرة، مناخ الأيام، والتي تتحدث عن أزمة سوق المناخ، وهي أزمة سوق الأسهم التي عصفت بالمجتمع الكويتي في بداية الثمانينيات وتركت الكثير من الضحايا، وكان الكاتب أحد الشهود على أحداثها وذلك لكون مقر عمله في البنك التجاري ملاصقاً لسوق المناخ. بعد تحرير الكويت وفي عام ١٩٩١م تمت بين كاتبنا وبين الأديبة ليلى العثمان مراسلات بشأن كتابة مناخ الأيام، وشجعتة الأديبة للانضمام إلى رابطة الأدباء في الكويت وهي جمعية نفع عام، لها تاريخ عريق تأسست عام ١٩٦٤م، والرابطة بمثابة نادٍ

للشعراء وكتّاب القصة والرواية والنقد والمسرح، وتصدر عن الرابطة مجلة لها تاريخ، هي مجلة البيان (مجلة ثقافية شهرية)، مستمرة بالصدور منذ الستينيات وما زالت. دخوله في رابطة الأدباء كعضو نشيط فتح له آفاقاً جديدة، وكانت أجواء الرابطة وما زالت مفعمة بالإبداع وذلك بسبب حضور كبار المبدعين الذين كان الكاتب يتابع أعمالهم ويشاهد صورهم على صفحات الصحف أو عبر التلفاز أو الإذاعة، ولكن الآن هو يلتقى بهم مباشرة، ويستمع إلى أحاديثهم فرحاً.

واصل الأستاذ حمد الحمد مشواره في الإبداع بنتائج أهمها: ليالي الجمر، ومساءات وردية، والأرجوحة، وزمن البوح (البدايات)، وزمن البوح (التحولات). وتعتبر رواية زمن البوح التجربة الأولى عند حمد الحمد في عالم الرواية؛ فيتكلم فيها عن المجتمع الكويتي ويختار أساليب جديدة في توجيه بعض الانتقادات إلى عدة محاور يلقي هذا المقال الضوء عليها.

وتعدّ رواية زمن البوح (التحولات) آخر عمل روائي للكاتب، وهي بمثابة تكملة لروايته الأولى زمن البوح (البدايات)، وأحداثها تدور في قالب اجتماعي يمثل التجاذبات الفكرية داخل المجتمع الكويتي في الألفية الجديدة.

لم يتوقف الكاتب عن مساهماته الكتابية سواء بمقالاته في الصحف المحلية أو بإصدار بعض الكتب، فقد أصدر عدة كتب بحثية ومنها كتاب مسافات الحلم وذلك في عام ٢٠٠٥م، وهو كتاب بمثابة سيرة وثائقية للكاتب لأغلب ما سطره الكاتب من مقالات في الصحف المحلية، وما كتب عن أعماله من قبل النقاد، ويحتوي على المقابلات التي أجريت معه منذ بداية رحلته للكتابة، حيث يمتاز كاتبنا بحفظه لكل ما كتبه منذ نعومة أظفاره. وصدر له في بيروت مؤخراً في عام ٢٠١٠م، عن الدار العربية للعلوم كتاب الكويت والزلفى هجرات وعلاقات وأسر، وهو كتاب يبحث في العلاقة بين الكويت وإحدى مدن نجد، وهو بمثابة دراسة في العلاقات التاريخية بين أبناء المنطقة قبل ظهور النفط؛ وقد لاقى الكتاب رواجاً منقطع النظير في معارض الكتب في الكويت والسعودية.

أما الموضوع الرئيس في رواية زمن البوح هو مسألة الدين في عصرنا، واختار

الكاتب شخصيتين مختلفتين أحدهما وليد عبدالله، وهو من الملتزمين بدين الإسلام وممن يريد أن يعيش بالتزامات دينية في المجتمع، وأما الشخصية الأخرى فهي منال، التي درست في الجامعات الأوروبية، وهي متأثرة من الثقافة الأوروبية بحيث تتكلم في بعض الأحيان باللغة الإنكليزية، وترتدى ملابس غير مناسبة في محل العمل؛ وكان وليد يريد أن يترك عمله لأجل وجود منال وسفورها. فالخلاف مستمر في محل العمل بين وليد ومنال، وتعتقد منال أن وليد شخص متكبر ومتخلف، وهناك بعض القضايا التي جرت بينهما وحدث ما حدث.

وفي الحقيقة يريد حمد الحمد أن يقول إننا مسلمون بالظاهر، ولكن أعمالنا تتعارض والتعليمات الدينية، مشيراً إلى قضية النساء في المجتمع العربي وخاصة في الكويت، وتأثرهن بالثقافة الأوروبية دون وعي، ويقول: إن النساء يستطعن أن يتعلمن ويشاركن في المجتمع وهنّ متحجّات وملتزمات بالأصول الاجتماعية والثقافية لمجتمعاتنا الإسلامية، لأن عدم الالتزام بالمعايير الإسلامية سينتهي إلى فساد المجتمع وتفكك أواصره.

هناك أسئلة كثيرة تدور حول رؤية حمد الحمد وتصوره للمجتمع الذي يرسمه، فأى مجتمع يقصد؟ وأى عالم يرسم؟

ونستطيع القول إن حمد الحمد في روايته زمن البوح يعتبر من أصحاب الاتجاه الواقعي الذي جمع فيها بين الواقعية والالتزام الديني؛ والقارئ حين يقرأ هذه الرواية يتشجع على إكمال قراءتها لأنها تنشأ من حياة الواقع، وترسم حقيقة حياة الناس من خلال النصوص المليئة بالوضوح دون أدنى تزييف للواقع وهذا هو الحدّ الفاصل بين واقعية حمد الحمد في هذه الرواية والواقعية الأوروبية النقدية منها والطبيعية والتي لم تصوّر الواقع كما ادعت بل صوّرتة من خلال فلسفة فكرية سوداء آمنت بها.

تحليل ودراسة في مضامين الرواية

الدين والحياة

يُعدّ الدين وتأثيره على مختلف أفراد المجتمع من القضايا المهمة التي طالما شغلت

فكر الأديب في سرده لهذه الرواية، فهو يشير فيها إلى أنّ المجتمع الكويتي مجتمع مسلم، ولكن للأسف لايراعى واجبات الدين ومتطلباته. فشخصيات هذه الرواية مختلفة ومتعددة، ولكنها لا تهتمّ بالدين وقضاياهم اللهمّ إلا شخصيتين وهما وليد عبدالله والأستاذ عبدالهادي؛ وفي الحقيقة يريد الكاتب أن ينبّه أفراد المجتمع رجالاً ونساءً إلى القيام بواجباتهم تجاه مجتمعهم وذلك بالاعتماد على المبادئ الإسلامية.

وهذه القضية تبدو واضحة وجلية من بداية الرواية حتى نهايتها؛ ويتجلى لنا ذلك بكل وضوح في الخطاب الذي أجراه الكاتب على لسان الأستاذ عبدالهادي قائلاً: «يا بني .. إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء واجب على كل مسلم .. واحنا والله العظيم مقصرين .. مقصرين يا ابني.» (الحمد، ٢٠٠٩م: ١٢٩)

ويشير الكاتب في روايته هذه إلى أنّ الناس يتظاهرون بالإسلام، ولكنهم لا يدركون قيمة الدين وفوائد العمل بمبادئه؛ وهذا الأمر يعتبر أمراً خطيراً للمجتمع الإسلامي، خاصة مجتمع الكويت؛ وفي الحقيقة يرى حمد الحمد أن: «استمرار هذا الأمر سينتهي إلى إزالة الدين من الحياة وسيبقى من الدين الاسم فقط.»

## الحجاب

الحديث عن الملامح الإسلامية هو نفسه الحديث عن الملامح العربية العامة، كون الهجوم مسدداً إلى الإسلام ولغته المقدسة وحضارته العريقة السامية ومبادئه الإنسانية الخالدة؛ فمنذ الحملات الصليبية الأولى والمعركة لم تنته؛ فتح الغرب نيرانه وإلى الآن لم يخمدها؛ هذه النيران التي لم تكن فقط في المظهر العسكري، وإنما لا تزال إلى الآن نيراناً تحاول أن تدمر القيم والمبادئ، وتغيّر ما استطاعت التغيير كي تسهل عليها السيطرة على اعتبار أن الإسلام عقبة كأداء في وجه المهمة الغربية. (المعوش، ١٩٩٢م: ٢٢-٢٣)

فبإلقاء نظرة عابرة وسريعة على ما تمّ تدوينه في النتاجات الأدبية عن المرأة وحجابها، نجد أنّ استعراض الشعر لسفور المرأة وحجابها لم يكن بالقليل ولكنه غير منظم ومبوب في معظمه، وهذا يدلّ على أنّ النساء العربيات لم يكنّ كلهن سوافر كما لم يكنّ كلهن محجبات، والأهم من ذلك أن السفور كان من عوامله الأجواء الثقافية

الخاصة أو الظروف الاقتصادية الصعبة أو الفتن والحروب المفروضة المذلة للمرأة. إن المتتبع لأخبار ما يتعلق بسفور المرأة أو سترها قد يجد أن الأخبار الواردة في تستر المرأة العربية موفورة كوفرة أخبار سفورها، لكن السفور خلافاً للفطرة السليمة العفيفة التي أودع لها وجبٌ عليها الإنسان، كان لها من دواعٍ مختلفة نشأ معظمها متأثراً بالآداب والتقاليد البالية الجاهلية، ولما بعث النبي صلى الله عليه وآله، جاء بثقافة إسلامية متوقية ومتحذرة بكثير من تلكم الفتن التي كانت تثار من قبل المرأة بسفورها وتبرجها.

إن هذا العرف (السفور)، قد اندرس بعد ظهور الإسلام وبقي الالتزام بالحجاب في معمعة الحرب، وصروف الدهر غاية اعتقادية ذات قيمة ملموسة لن تتخل عنه المسلمة العربية المؤمنة بالله ورسوله. وقد بلغ ذلك مبلغ كماله عند عترة النبي (ص). (الشيرازي، ١٣٨٨ش: ١٥٣)

يعتبر موضوع الحجاب موضوعاً هاماً في هذه الرواية؛ فالصراع الذي حدث بين منال مشارى ووليد عبدالله ما هو إلا بيان واضح لهذه القضية، فتربية النساء بالثقافة الأجنبية وغير الإسلامية لها الأثر السلبي على المجتمع ممّا يؤدي إلى هدم الدين بيد النساء، لأنهنّ يعتبرن معلمات المجتمع، أفراداً وأسراً، أطفالاً وكباراً. فكل زلّة في التعامل مع النساء ستنعكس مباشرة على المجتمع؛ وهذا لا يعنى حجبها عن التعرف على ما لدى الشعوب الأخرى من ثقافات ولكن شريطة أن لا تتحوّل إلى مقلّدة عمياء؛ يقول حمد الحمد: إنّ النساء يستطعن أن يستفدن من ثقافات مختلفة مع الحفاظ على الأصول الإسلامية.

ثمّ يشير إلى الارتداء السيء للمرأة في المجتمع الكويتي، ويصف ما ترتديه سهاد، إحدى شخصيات الرواية، بقوله: «فالزّي الذي ترتديه سهاد بدا فاضحاً، تنورة لاصقة تظهر أكثر مما تبتطن، منظر مؤذ، و...» (الحمد، ٢٠٠٩م: ٥١)

ويقول إنّ حجاب المرأة في محل العمل هام جداً، ويجب عليها أن تعمل بشكل صحيح في زى مناسب، فالزى إذا كان غير مناسب سينتهى إلى ضعف في العمل وفساد بين العاملين ممّا يحول دون الوصول إلى المستوى المطلوب في مجال العمل.

## حقيقة الجمال

جمال الرجل يؤثر في المرأة كما أن جمال المرأة يؤثر في الرجل أكثر مما يؤثر جماله فيها، ولكن لا يؤثر بنفس مقدار تأثيره بجمالها، وهذا الجمال يختلف في مواصفاته من امرأة لأخرى، وغالباً ما يلفت انتباه المرأة أدب الرجل، وقوة شخصيته، وبلاغة حديثه، وجمال صوته؛ أما ما يلفت انتباه الرجل بشكل كبير جداً، جمال المرأة الجسمي ومظهرها الخارجي، ويزداد هذا الجمال تأثيراً، إذا ما اقترن بالعلم، والثقافة، والذكاء.

فمن مواصفات الرجل الذي تنجذب إليه المرأة مثلاً، ما قالته امرأة من قبيلة حمير، عندما سئلت عن الرجل الذي تراه زوجاً مناسباً لها كان ردّها هو: «أن يكون محمود الأخلاق، مأمون البوائق، فقد أدركت به بغيتي؛ على أنه ينبغي أن يكون كفواً كريماً، يسود عشيرته ويرب فصيلته، لا أتقنع به عاراً في حياتي ولا أرفع به ستاراً لقومي بعد وفاتي.» وعندما سئلت بعض الفتيات عن المواصفات التي يريدونها بزواج المستقبل، قالت: غيبت في المحل، ثمال في الأزل، مفيد مبيد. (محمود القاسم، ٢٠٠٧م: ٢٨)

يستعرض الكاتب موضوع الجمال في هذه الرواية، ويشير إلى أن ظاهر المرأة هام جداً عند الرجل الكويتي، بل هو من أهم المواصفات عنده في اختيار زوجة المستقبل؛ ثم ينتقد هذه الظاهرة الاجتماعية وما لها من أثر سلبي على المجتمع، ويشير إلى أنّ المرأة يمكن أن تكون غير متمتعة بالجمال الظاهري المشهود ولكن قد تكون مثقفة، تملك الصفات الأخلاقية الإيجابية؛ فإذا فرط المجتمع في هذا الجانب فستكون الغاية غير محمودة، فيوضح ذلك للمتلقي من خلال شخصية زهور؛ فزهور امرأة حسنة الأخلاق ولكن الجمال الظاهري عندها كان أقل بالنسبة للبنات الأخريات، فلذا لم يتقدّم إلى خطبتها أيُّ عريس، فتتخذ زهور قراراً أن تكون بنتاً عصرية، ممّا يؤدّي إلى إيجاد الأزمة النفسية عندها. والكاتب يريد أن يقول إنّ هناك لكل شخص شخصية متفاوتة، ويجب على الرجل ألاّ يهتم بظاهر المرأة فقط، ويقول: إنّ هذا الأمر يؤدّي إلى أن يرى الرجل في المرأة الجمال والموضة فقط.

## التعاون الاجتماعي

التعاون هو ارتباط مجموعة من الأفراد على أساس من الحقوق والالتزامات المتساوية للمواجهة وللتغلب على ما قد يعترضهم من المشاكل الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو القانونية ذات الارتباط الوثيق المباشر، بمستوى معيشتهم الاقتصادية والاجتماعية سواء كانوا منتجين أو مستهلكين. وهو كذلك سلوك إنساني شوهد في مختلف العصور البشرية، لجأ إليه الإنسان في عمله وتصرفاته الخاصة والعامه. وقد كان في الماضي والحاضر وسيلة للدفاع عن الحقوق لمكافحة الظروف الاقتصادية السيئة، نتيجة للنظم الاقتصادية المختلفة منذ بدء ظهور الثورة الصناعية، والتطور التجاري في العالم مما ساعد على ظهور طبقات الإقطاعيين، والليبراليين، والاشتراكيين.

فالتعاون الاجتماعي من الأمور التي ركز عليها الكاتب في أكثر أوراق هذه الرواية، والحقيقة أن شخصيات الرواية لديهم شعور بالتنفيس عن الآخرين عند مواجهة المصائب؛ إذن فذووا الكربات في هذه اللوحة الفنيّة لا يشعرون بالوحدة في التصدي لمشاكلهم.

ويريد الكاتب من خلال تقريره لهذه الفكرة تنبيه الآخرين على أنه يجب على كل شخص أن يساعد زميله في مشاكله، فمثل هذا النداء الإنساني يتجلى في جميع آثار حمد الحمد خاصة في زمن البوح، والأشخاص في زمن البوح متحابون متعاضدون يحبون بعضهم البعض، فمثلاً يساندون مجبلاً، لأنّه مريض، ويحتاج إلى عملية جراحة القلب، فيقفون إلى جانبه، ويساعدون عائلته، حتى الفراش سعيد يقوم بهذا الدور الإنساني؛ فمثلاً أيضاً تساند زهوراً في أزمته النفسية، ويساعد الأستاذ عبدالهادي وليد عبدالله. فالملتزمون وغيرهم في هذا الأمر سواء.

## المرأة

في ظل النظام الأبوي تُزاح المرأة من دائرة الضوء إلى الظل. وقد التفت كثير من المسلمين إلى ظاهرة غياب المرأة عن مسرح الحياة العامة، وتأثير هذا الغياب في نهضة المجتمع، وامتد هذا التأثير ليصاب البناء القصصي، في رأى بعض المبدعين النقاد، بضعف الفن القصصي.

فعالج رفاة رافع الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧٣م) موضوع أمية البنات فى كتابه المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين، على أن قاسم أمين أفرد، فى كتابيه: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة، مساحة كبيرة لقضية تحرير المرأة. فقد رأى أن ثمة علاقة بين المرأة فى المجتمع وأخلاق الأمة، وأن لبّ المشكلة الاجتماعية هو مكانتها. وتلك لا تتحدد إلا عن طريق التعليم، مما يسهم فى وعى المرأة بذاتها وبما عداها، ويرتقى برؤيتها للعالم. وقد رأى قاسم أمين أن حرية المرأة هى الأساس والمقياس لكل أنواع الحرية. فثمة علاقة جدلية بين القهر والحرية، داخل البيت وخارجه؛ إن شكل الحكومة يؤثر فى الآداب المنزلية، والآداب المنزلية تؤثر فى الهيئة الاجتماعية. (حجاوى، ٢٠٠٣م: ٤١٢)

إن صورة المرأة التى ظهرت فى معظم أعمال حمد الحمد جيدة، فهى غالباً تكون جميلة مثقفة وعصرية، وفى جميع آثاره نجد مكانة خاصة للمرأة، والمرأة فى رواياته خاصة رواية زمن البوح، تذهب إلى الجامعة، والمرأة الأمية ليست موجودة فى آثاره، ونشاهد نوعاً من الحرية والاستقلال عندهن.

والنساء عند حمد الحمد يستحقن أن يشاركن فى العمل ويدرسن حتى المراحل العالية، ولا توجد ربّات البيوت فى آثاره، والنساء دائماً خارج البيت، ويعملن مثل الرجال، ويعتبرن من المحظوظات.

وقد يعود سبب هذا الأمر إلى الرفاهية الموجودة فى المجتمع الكويتى الحديث، لأن العائلات ترغب فى استغلال هذه الثروات الهائلة، وهم يجلبون عادة الخادמות الأجنبية من الدول الفقيرة للعمل فى البيوت. ولكن فى بعض الأحيان يوجد نوع من التناؤم بالنسبة للمرأة، فمثلاً يقول الأستاذ عبدالهادى: «والنساء معروفات بالدهاء، وقادرات على إيقاع الرجل فى مشاكل كثيرة.» (الحمد، ٢٠٠٩م: ٤١)

والقول الآخر: «لا يا ابنى .. التفاهم مع النساء مش زى التفاهم مع الرجال.» (المصدر نفسه: ٤١) وفى موضع آخر يقول: «تذكر وليد قول والده: الحرمة ما لها إلا العين الحمراء.» (المصدر نفسه: ٤٠) والحديث الآخر: «إنى .. إذا كان عندك مشكلة مع امرأة يفترض أن تحدثها بهدوء وإلا تؤذيك بدهاية.» (المصدر نفسه: ٤٠) وفى الحقيقة يصف الكاتب النساء بالدهاء فى أكثر مشاهد هذه الرواية كما شاهدنا.

## الأوضاع الاجتماعية

إن المجتمعات أساس ترتكز عليه دراسة علوم الاجتماعيات. وهي مجموعة من الأفراد تعيش في موقع معين، ترتبط فيما بينها بعلاقات ثقافية واجتماعية، يسعى كل واحد منهم لتحقيق بعض المصالح والاحتياجات.

تقابل كلمة مجتمع في الإنكليزية كلمة Society التي تحمل معاني التعايش السلمى بين الأفراد، بين الفرد والآخريين. والمهم في المجتمع أن أفراده يشاركون هوماً أو اهتمامات مشتركة، تعمل على تطوير ثقافة ووعي مشترك يطبع المجتمع وأفراده بصفات مشتركة تشكل شخصية هذا المجتمع وهويته.

وأكد الإسلام في مواضع كثيرة من القرآن، بأن المسلم أخو المسلم، والمؤمن أخو المؤمن، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى. قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات: ١٣)

هذه الآية قد قضت على العصبية، وقضت على العنجهية القبلية. فالتقوى هي مقياس التفاضل عند الله سبحانه وتعالى، فأكرم الناس عند الله أكثرهم تقوى، سواء كان هذا الإنسان عربياً أم فارسياً أو رومياً أم مهماً كان.

وهنا يتضح لنا أن من أهم مميزات المجتمع الإسلامي، أنه قائم على الأخوة الإيمانية، هذه العلاقة الإيمانية التي عجزت كل المنظومات الفكرية عن أن تحدث مثلها، لم يستطع نظام أن يحدث علاقة بين أتباعه أسسها العقيدة، الأساس الاعتقادي لم ينجح إلا في الإسلام، يدعون إلى أنواع الصور المشتركة: من اللغة، والأرض، والتاريخ، وما إلى ذلك، هذا كله لم يعط نتيجة، الذي أعطى نتيجة هي الأخوة في الله والأخوة الإيمانية. (جورجس أبو جودة. ٢٠٠٨م: ١٤٨-١٨١)

فالصورة التي ترسمها هذه الرواية حول المجتمع الكويتي هي صورة إيجابية يشعر القارئ من خلالها أن نوعاً من الهدوء مخيم على المجتمع الكويتي لأن كل شخص في الرواية يعيش موسراً ويعمل عمله دون إيجاد اختلال في عمل الآخريين، وأما الأجانب مثل مجبل، فظروفهم المعيشية قاسية إلى حد ما لأنهم لا يملكون الجنسية.

يتحدث الكاتب عن وليد ومنال وبعض المشاكل التي يواجهانها في تربية أولادهما. فيذكر قصة خالد، ذلك الفتى الذي حالت القيود غير اللازمة التي فرضها والداه عليه من أن يتربى تربية أساسية، فلم يتمكن من إكمال دراسته في الجامعة في فروع مثل الطب، والهندسة... لأنه كان يريد أن يكون موسيقاراً. «وأكمل وليد حكاية ذلك الغياب وكيف أن خالد اعترف بحبه للموسيقى، وأنه لا يفكر بتاتاً بالالتحاق بالجامعة كما تريد والدته، ولا يود الالتحاق بكلية الشرطة كما يريد خاله، وإنما بعد انتهاء الدراسة الثانوية لديه رغبة بأن يلتحق بكلية الدراسات الموسيقية ليصبح موسيقاراً كبيراً.» (الحمد، ٢٠٠٩م: ٨٩)

والمسألة الأخرى التي يشير إليها الكاتب في هذا الكتاب هي مسألة الزواج دون أن يرغب أحد الزوجين في الآخر، ويتكلم حول الدكتور فواز؛ ويحكى الدكتور فواز عن لحظات تخرجه من الجامعة وإكمال دراسة الماجستير وعودته إلى الكويت، وترتيب وليمة لأعداد كثيرة من أفراد القبيلة والأحباء. وقال والده بعد مدة: «يا ولدى يا فواز الفرحة بنخيلها تنتين.» (الحمد، ٢٠٠٩م: ٩٩)

وقال: «أنت مالك يا ولدى يا فواز إلا بنت عمك فاطمة بنت عمك مطلق وعمك الحين معانا وخير البر عاجله.» (الحمد، ٢٠٠٩م: ٩٨) «كلام أبوك لازم تسمعه، الرجال بمثل سنك ماله إلا الزواج، وإذا ما تزوجت ببنت عمك من ياخذ بناتنا.. ها شتقول ترى يقوم بروح.» (الحمد، ٢٠٠٩م: ١٠٩)

وبعد مدة، شعر أن فاطمة على صغر سنها، امرأة من قرن مضى وولى، غير أن فواز استطاع أن يتعايش مع هذا الوضع، وأن يساير الحياة، وأن يكمل رسالة الدكتوراه بالخارج بمفرده، بعد أن رفضت فاطمة السفر وأعلنت، ما أحبّ أرواح بلاد الكفار، روح بروحك الله يسهل عليك.

ولهذه القضايا، أراد الدكتور فواز أن يتزوج بالدكتورة هديل للمرة الثانية، وذهب مع الدكتور وليد لخطوبة هديل وقال أبوها: «حنا ما نقرب إلا اللي منا وفينا.» (الحمد، ٢٠٠٩م: ١٧٨)، ورفض أبوها هذه المسألة وفشل الدكتور فواز للمرة الثانية.

والكاتب في الحقيقة يرفض فكرة الزواج دون الرغبة، والزواج التقليدي، لأن هذا

الأمر ينتهي إلى إيجاد الأزمة النفسية في الشخص، وإيجاد المشاكل المتعددة في الحياة الزوجية، وحدثت هذه القضية لشخصية أخرى، باسم سارة وكانت سارة تزوجت بشخص أجنبي باسم سامر، وبعد مدة ولأجل ما واجهته من ضغوط كبيرة من جانب المجتمع طلقت سارة، «قالت الموظفة لسارة: من قال لكم تتزوجون أجنب.. عيال الديرة شكرتهم. ردت سارة بغضب: شتقولى شنسوى أذبح زوجى أو أطلقه؟!» (الحمد، ٢٠٠٩م: ١٦٣) «ضحكت الموظفة وهمست في أذنها: إلا ما يقصد تذبحين زوجك لكن بعض الكويتيات حتى يحصلون على الجنسية لأولادهم، بدل بهذلة الإقامة يتفقون مع الزوج الأجنبي على الطلاق.» (الحمد، ٢٠٠٩م: ١٦٣)

فعلى أى حال، تحدّث الكاتب عن مشاكل الناس في مجتمع الكويت خاصة مسألة الزواج التقليدي، ويبدو حمد الحمد وكأنه طبيب نفسى، يفحص المريض ويجد فيه علائم بعض الأمراض ثم يريد أن يعالجها بالكلام الجيد والأسلوب الرشيق. ويشير الكاتب أيضاً إلى بعض المجتمعات المسلمة، ومشاكلهم. مثلاً يتحدث عن معاناة المسلمين في البوسنة وكشمير، ويقول إنّ المسلمين يواجهون الحرب في أنحاء العالم، وفي قسم آخر يتحدث عن معاناة المسلمين ومعاناتهم في فلسطين.

### الأوضاع الثقافية

ثقافة المجتمع يقصد بها ما يسود فيه عادة من أنماط السلوك والعادات والمعتقدات والآداب والفنون والتاريخ والتراث واللغة وكل ما يتصل بشيء من ذلك. وهذه العناصر الثقافية مجتمعة هي التي تشكل للمجتمع طابعاً خاصاً به، يميزه عن غيره من بقية المجتمعات. ليس هذا فحسب، بل إن ثقافة المجتمع هي التي تشكل فكر أبنائه وتحدد توجهاتهم.

ولأن المجتمعات تتعدد فيها أنواع الثقافات فإنه من المتوقع أن تتعدد فيها أيضاً أشكال الفكر تبعاً لذلك، خاصة ما كان منه متصلاً بميادين الحياة الإنسانية الواسعة، وبسبب هذا التعدد في أشكال ثقافات المجتمعات يظهر غالباً التمايز في الفكر المنسوب إليها، فيظهر التمايز ما بين فكر غربى وآخر عربى وثالث شرقى، إلخ... تلك التقسيمات

المتداولة بين الناس.

إلا أنه في هذا العصر بعد أن تقاربت المسافات بين المجتمعات وتلاشت الحدود الثقافية، أمكن لأفكار المجتمعات الأقوى أن تتسلل إلى المجتمعات الأضعف وأن تختلط بما فيها من ثقافة محلية تنتج عن ذلك أفكار هجينة، غلافها الظاهر متمسم بسمة المجتمعات القوية (غالباً المجتمعات الغربية)، وباطنها معجون بالثقافة المحلية التي لها من الرسوخ والتسلط ما يجعلها تتدخل لتعيد تشكيل عناصر الأفكار المنسوبة إلى المجتمعات الأقوى.

ولعل هذا يفسر لنا كيف أن المجتمعات على اختلاف ثقافات، تلتقي غالباً على أفكار عامة من إبداع المجتمعات الغربية، كالأفكار حول الديمقراطية، والعدالة، والحرية، والخير، والحق، والجمال، و... إلخ، قائمة الأفكار المتعلقة بالقيم الإنسانية، لكنها عند التطبيق لشيء من ذلك، تتفاوت فيما بينها تفاوتاً شاسعاً، بسبب الاختلاف في العناصر المكونة لتلك الأفكار والتي هي من نسيج الثقافة المحلية للمجتمع نفسه.

والثقافة ليست فرعاً ثانوياً من فروع الحياة الاجتماعية، إنها أساس الحياة، والثقافة ليست سلاحاً في يد الناس، إنما هي في صميم حياة الشعب الراقى، وبدونها ليس له حضارة ولا تراث في وجوده، ولا تكون للأمة خارجها نهضة خلاقة ومبدعة. فالنهضة الحية شأن ثقافي، يتكامل أبداً بدون حدود، ضمن المجتمع الحي الذي يشهد ولادة الإنسان الجديد، الذي هو وحده القادر على حمل النظام الجديد وتنميته وتحدي العالم به.

الواجب الإنساني للوقوف معنا حتى نحمل الحضارة الإنسانية التاريخية، فلا يقفون إلا علينا، ليدرسوا ما تعمر وبنى على أيدي أسلافنا من قبل جلاء التاريخ، وليقيموا مهدياً ظلامياً جاهلاً ومتخلفاً، يسوده الفقر، والجهل، والتعصب، والهمجية. (جرجس أبو جودة، أيلول ٢٠٠٧م: ١٨)

فإذا انتقلنا إلى الرواية سنرى من خلالها المستوى الثقافي في الكويت رفيع جداً لأن شخصيات الرواية معظمهم من الجامعيين، فمثلاً منال مشارى، ووليد عبدالله من الذين تخرّجوا من الجامعة، وحصلوا على درجة الماجستير؛ فدرست منال في المدارس

الأجنبية في الكويت، وهي متأثرة جداً بالثقافة الأجنبية، ووليد متأثر من الثقافة الإسلامية العربية. ونفهم أن الثقافتين موجودتان في الكويت، الثقافة الأجنبية، والثقافة الإسلامية. وأكثر الأشخاص الذين يذهبون إلى المدارس الأجنبية بالطبع يتأثرون بالثقافة الأجنبية. والواقع أن حمد الحمد يشير في نتاجه هذا إلى الجدل القائم الموجود بين هاتين الثقافتين مقدماً بعض الحلول حيث يرى أن العودة إلى الثقافة المحلية والتمسك بها يعتبر العلاج الأمثل لمثل هذه الظاهرة التي شاعت في المجتمعات الخليجية بسبب انفتاحها على الثقافات الأجنبية.

### النتيجة

يمكننا اعتبار حمد الحمد من الأدباء المتمسكين بالعادات والتقاليد العربية والمبادئ الإسلامية، ومن الداعين إلى إعادة مثل هذه العادات والتقاليد والمحرّضين على الرجوع إلى تلك المبادئ القيمة السامية. كما يعدّ روائياً لا يعتمد في خلق نتاجاته على الخيال فحسب، بل يستمد في خلق أحداث رواياته من حياة الواقع وخاصة مجتمعه الذي يعيش فيه ليصور همومه، وهواجسه، والمخاطر التي تهدد هذا الكيان الوطني. وهذا ما يجعل نتاجاته مهبط اهتمام الخليجيين عامة، وأبناء بلده بشكل خاص. وعلى هذا الأساس فالرواية التي عالجانها لم تبق أحداثه بين الدفتين بل اجتازت ثنايا الكتاب لتتحول إلى مسلسل اجتماعي تم بثّه عبر بعض القنوات الخليجية. وهذه الأمور الهامة التي تعانى منها كافة المجتمعات الخليجية من شأنها أن تكون موضع اهتمام باقى الروائيين الذين نرى عددهم يزداد بشكل مطرد، وتقرأ عنهم روايات، وقصصاً، وأقصصات في الكتب، والمجلات، والصحف العربية.

### المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

جرجس أبو جودة، فاروق. ٢٠٠٧م. *الثقافة في المجتمع*. العدد السادس والعشرون. أيلول. -----. ٢٠٠٨م. *مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة*. الماكروديناميكية الاجتماعية. العدد الثامن

والستون. صص ١٨١-١٤٨.

حجاوى، غادة وإلياس البراح. ٢٠٠٣م. *الأدب فى الكويت خلال نصف قرن*. الكويت: مطابع الملك.

الحمد، حمد. ٢٠٠٩م. *زمن البوح*. الكويت: مكتبة العروبة.

الشيرازى، سيدحيدر. ١٣٨٨ش. *فصلية التراث الأدبى*. أسباب ستر المرأة وسفورها فى شعر العصر

الجاهلى. السنة الأولى. العدد الثالث. صص ١٨١-١٥١.

محمود القاسم، أحمد. ٢٠٠٧م. *ديوان العرب*. تموز.

المعوش، سالم. ١٩٩٢م. *الملاحم الإسلاميه فى الرواية العربية*. دار الهادى: بيروت.

Archive of SID